تصدير

لا شك أنه مما يسعد باحثا مثلى، قضى أكثر من خمسين عاما الآن قريبا من الأحداث الأفريقية، والتفاعل المصرى والعربى معها، أن يشهد بين يوم وآخر من يقترب أكثر من هذا الواقع الأفريقي، وخاصة عبر الدراسة الأنثروبولوجية المباشرة.

مازلت أذكر يوم ذهبت الشابة «حورية مجاهد» أول الستينيات من القرن الماضى إلى جمهورية «مالى» حديثة الاستقلال؛ بمعاونة إدارية ودبلوماسية من الشئون الأفريقية التى شرفت ببدء العمل فيها وقتئذ ؛وترحيب حزب «الاتحاد السودانى» وقادته الشبان التقدميين بالباحثة المصرية(حيث كانت مالى نفسها تسمى السودان الغربى) وذلك لدراسة تجربة الحزب الواحد فى أفريقيا ومن أجل الحصول بها على ماجستير العلوم السياسية. وظل هؤلاء القادة سعداء بهذه اللفتة من مصر وقادتها طوال الستينيات، كما ظلت الدراسة عملا بارزا للأستاذة الدكتورة فى مجال الدراسات المصرية، رغم كل التطورات التى شهدتها القارة، بل وشهدتها الدراسات الأفريقية نفسها، موضوعا ومنهاجا.. وأظن أن هذه اللفتة قد جعلت معهد البحوث والدراسات الأفريقية يلزم طلبته بمبدأ الدراسات الميدانية فى أفريقيا كلما استطاعوا إلى ذلك سبيلا، ولا يعوق مجتهدا السبيل إلى ذلك فى أغلب الأحوال.

ها هى واحدة من أحدث المجتهدات تشد الرحال إلى جمهورية مالى عام ٢٠٠٩ بعد حوالى أربعة عقود من التجربة المصرية الأولى، فتذهب الأستاذة «عزة عبد الخالق» إلى مالى وإلى أقاصى جنوب هذه البلاد فى دراسة أنثروبولوجية عن منطقة «سيقو» أو «سيجو»، لتتحقق من طبيعة تراث شعب «البامبارا» وتمثلاتهم التقليدية، والإسلامية، وموروث مملكة السنغاى ولمسات الماندنج، فى هذه المنطقة الحية فى «مالى»... والتى تشهد اليوم أقسى الصراعات، تحت مسميات قبلية ودينية، واستعمارية وعسكرية.. لا تخفى ولا ترحم..

لست هنا فى حال تقديم علمى لعمل أكاديمى، لكنى أعبر هنا فقط عن ترحيب مركز البحوث العربية والأفريقية بأن ينشر عملا جديدا وميدانيا لباحثة من معهد البحوث والدراسات الأفريقية بإشراف كوكبة من أساتذته الأفاضل يضيفون بها معرفة ملموسة بالمكونات الاجتماعية لشعب من شعوب القارة بمناهج أنثروبولوجية وسوسيولوجية مقدرة، تشكل بالضرورة أساسا معرفيا بدورها للتفاعلات السياسية الجارية، أو هذا مما نأمله بالنسبة لما يجرى فى «مالى».

إن تلك البلاد هى أول ما برز فى رحلة ابن بطوطة «لبلاد السودان»على امتداد الصحراء الكبرى فى منتصف القرن الخامس عشر، وقد كانت ساحة لممالك وامبراطوريات؛ من «واجادوغانا» لمالى للسنغاى، والسوننكى،ولثقافات تقليدية، وأمازيغية بربرية، وعربية إسلامية... ولذلك فإنها تحتاج لفرق بحثية كاملة للتعرف على تراثها الواسع العميق الذى يقف وراء ما أسمته هنا الباحثة «بالتنشئة الاجتماعية»، وبالتراث الشفاهى، وبالعادات والتقاليد، وما ورد من عناصر الحياة اليومية فى الزراعة والتجارة..إلخ. وأظن أن طرح أنماط التعليم وتوارث تقاليده، فى هذه الدراسة هو الذى لا تكفيه مجلدات لنعرف التأثيرات الهائلة لهذا الموروث فى وضع المرأة، أو كيفية استقبال الحداثة، والوافد الاستعمارى،وكيف كتبت اللغة الأصلية بالحرف العربى، وأقيم سلم التعليم الدينى ضمن عملية المقاومة الثقافية السائدة فى تراث هذه المنطقة ولا ننسى هنا أن «مالى»هذه هى الحاضنة لمدارس «تمبوكتو» التراثية الإسلامية البربرية العربية، وأنها أيضا حاضنة جماعة «الدوجون» التى يحفل بها كثيرا «المستفرقون» كنموذج للمدرسة التقليدية القديمة والتمسك بالمسيحية حديثا، وكيف يعيش عالم «الأساطير»عندهم وسط التحولات الدينية، وكأنها بدعة لا يعرفها وادى النيل، وكافة الحضارات المعروفة.وقد كانت مالى ومازالت فى معظم مساحتها ملتقى أبناء«كل تماشق» أو مايعرفون بالطوارق،مع بقايا العنصر العربى هناك فضلا عن شعوب الممالك التاريخية المعروفة.

لم أدهش لمعرفتى كيف أطلق الفرنسيون على منطقة «بلاد السودان»، مجتمعة «ومقسمة» إلى حوالى ثمانى أقاليم «المجموعة الفرنسية» لغرب أفريقيا« La commaunitè francaise لأنهم كانوا يعرفون أنها ذات أساس إنسانى واجتماعى

توحيدى بتفاعلات ما ذكرنا من عناصر خاصة،وأن اسم «التكرور» و«الماندى» يكاد يكون الاسم الوحيد لهذا الامتداد...

وليس صدفة أن مناضلا أفريقيا من أمريكا الجنوبية، مثل« والتر رودنى» جعل التعليم قضية حياته فى شرقى أفريقيا وهو الذى اغتيل عند تشكيله حزبا سياسيا فى «جويانا الشمالية»، لأنه كان يؤكد أن التعليم الأفريقى هو أساس التنشئة الاجتماعية على قضايا التحرر والتحديث السليم... والثورة... وأظن أن تاريخ مالى بمناطقها المتنوعة يقول الكثير فى هذا المجال.. وأملى أن يجد القارئ فيما قدمته الأستاذة «عزة عبد الخالق» بعض مما يثير انتباهه لهذه القضايا الحيوية التى يجب أن نقرأ من خلالها دراستها عن العادات والتقاليد والمعتقدات فى علاقتها بالتعليم والتنشئة الاجتماعية إذ أتصور أن بين سطورها الكثير مما يجب مواصلة دراسته من أجل معرفة صحيحة بأفريقيا.

لابد أن أشكر هنا هذا الجهد المقدر للباحثة، وقد فاجأتنا بأنها في طريقها ثانية إلى جمهورية مالي لتتويج جهدها بدراسة ميدانية جديدة للحصول على الدكتوراه.ومن هنا تأتى سعادة مركز البحوث العربية والأفريقية بنشر هذه الدراسة التمهيدية لفتح الآفاق الممتدة ميدانيا في الساحة الأفريقية.

حلمي شعراوي

القاهرة – مارس ٢٠١٣

obeikan.com

شكر وتقدير

تتوجه الباحثة بخالص الشكر والامتنان إلى من كان لها الفضل الأول فى إتمام هذا العمل : بدايةً من اختيار مجتمع الدراسة ، إلى خروج هذه الدراسة إلى النور، وهى أستاذتى الأستاذة الدكتورة سلوى يوسف درويش / أستاذ ورئيس قسم الأنثروبولوجيا بمعهد البحوث والدراسات الإفريقية جامعة القاهرة .

كما أتقدم بخالص الشكر والامتنان إلى الأستاذ الدكتور / عبد العزيز راغب شاهين لتوجيهاته العلمية .

و الأستاذة العظيمة والأخت الكبرى الأستاذة الدكتورة/ إيمان يوسف بسطويسى على المجهود العظيم الذى بذلته معى فى هذا البحث وعلى إرشاداتها العلمية القيمة .

كما تتوجه الباحثة بالشكر العميق إلى «الجالية المالية » المقيمة فى القاهرة وهم مائة وخمسون طالباً فى جامعة الأزهر فى كلياتها المختلفة وعلى رأسهم الطالب محمد نيارى رئيس اتحاد طلبة الغرب الإفريقى فى القاهرة ، شكرا لهؤلاء الطلبة على مساعدتهم لى في القاهرة ، وأيضا على مصاحبتهم لى أثناء سفرى وإقامتى فى دولة مالى .

وشكرى العميق لوالدتى وأشقائى لمساندتهم لى أثناء الدراسة والسفر .

obeikan.com

تقديم

الهدف من الدراسة التعرف علي المعتقدات الدينية عند قبائل البمبارا في مالي وتأثيرها على التنشئة الاجتماعية ، خاصا أن مجتمع البمبارا من أشد المجتمعات حرصا على العادات والتقاليد وبثها في الأجيال تباعا . و تنقسم هذه الدراسة إلى ثلاثة أقسام :

- القسم الأول وهو القسم النظري

- القسم الثاني وهو القسم العملي والدراسة الميدانية على مجتمع البحث في قرية سيكورو فى مدينة سيجو / نتائج الدراسة .

- القسم الثالث ويشمل الصور والملاحق الخاصة بالدراسة .

عرض ملخص للدراسة الميدانية :

تنقسم الدراسة الميدانية إلى شقين :

الشق الأول : وهو الدراسة الميدانية التى قامت بها الباحثة فى جمهورية مصر العربية وذلك من خلال اللقاءات التى أجرتها مع الجالية المالية التى تقيم فى مدينة البعوث فى القاهرة (مجموعة من الطلبة فى جامعة الأزهر فى كلياتها المختلفة) وأكثرهم من قبائل البمبارا بالإضافة إلى لقاءات فى سفارة جمهورية مالى الحديثة فى القاهرة ، بمساعدة الإخبارى الرئيسى وهو محمد نيارى رئيس اتحاد طلبة الغرب الإفريقى فى القاهرة .

الشق الثانى : من الدراسة كان فى قرية سيكورو التابعة لمدينة سيجو فى دولة مالى الحديثة حيث تتمركز قبائل البمبارا ومكانة هذة المدينة فى نفوس أهالى بمبارا وتم جمع المعلومات من اللقاءات مع الأهالى والتعايش معهم واللقاءات مع بعض المسئولين عن التعليم وفى السفارة المصرية فى دولة مالى هناك واستخدمت الباحثة التصوير الفوتوغرافى والفيديو فى تسجيل اللقاءات .

في هذه الدراسة تم إلقاء الضوء أولا علي الديانة التقليدية وصفاتها وأسمائها عند البمبارا التقليدية وكيفية التحول إلى الإسلام و انتشاره في مالي ثم البمبارا وكيف أن المعتقدات التقليدية منها ما أصبح عادة من العادات ومنها ما طوع حسب الإسلام مثل التعدد في الزواج .

اشتملت الدراسة أيضا المرأة في الديانة التقليدية وفي الإسلام ثم المرأة ووضعها في مجتمع الدراسة .

ثم بيان وشرح بعض العادات والتقاليد الخاصة بالبمبارا والموجودة في مالي عامة منها مراسم الزواج وما يتم عند الزواج من بداية اختيار الزوجة وسن الزواج وما يتبع من ممارسات تقليدية . وقد أوضحت الدراسة أن الزواج يتم بطريقتين الطريقة الإسلامية والطريقة التقليدية ورصدت الباحثة حفل زواج تقليدي بالصوت والصورة (تصوير فوتوغرافي وتصوير فيديو) ومرفق بالرسالة صور لهذا الحفل .

التعرف علي المنزل وبناءه في القري وفي المدينة والفرق بينهم وقد تم دخول أحد المنازل والعيش مع أهله والتصوير والتعرف علي العادات والتقاليد في : الزواج / وطريقة المعيشة داخل المنزل / وكيفية تقسيم العمل بين أفراد الأسرة .

كما أوضحت الباحثة أيضاً الممارسات التقليدية للمرأة أثناء الحمل ومحرمات الأطعمة على الحامل ونتيجة ذلك على صحة الأم والطفل ، و الطقوس المتبعة فى الولادة ، وتسمية المولود ، و طريقة حمل الأطفال ومن يقوم بها وأثر ذلك على دورها فى التنشئة الاجتماعية .

كما تعرضت الباحثة للعادات في تربية الأطفال وعلي من تلقي مسئولية تربية الأطفال و المراحل التي يمر بها الطفل إلى أن يدخل المدرسة و دور المرأة في ذلك ودور الأسرة والمجتمع.

التعرف علي العادات المتبعة في تربية الأطفال في سن المدرسة والمؤسسات التي تساهم في تنشئة الأطفال من سن الولادة إلى نهاية مرحلة الطفولة أي إلى سن ١٥ سنة تقريبا . وتم ذلك بالزيارات التي قامت بها الباحثة لبعض الأسر والمدارس والحضانات ووزارة التربية والتعليم (القسم العربي) .

تم التعرف علي نظام التعليم في مالي عاما وفي القري خاصا وتم إيضاح الفرق بين النظامين . وإلقاء الضوء علي سن الالتزام بالتعليم للولد وللبنت .ومدي الاهتمام بتعليم الفتاة وتم زيارة بعض المدارس والحضانات في المدينة والكُتاب في القرية .

المنهج المستخدم في الدراسة :

استخدمت الباحثة ثلاث مناهج هي :

١- المنهج الأنثروبولوجي شامل الدراسة الميدانية واستخدام الأدوات اللازمة لذلك وهي الملاحظة بالمشاركة وتمت من خلال سفرى والإقامة فى قرية سيكورو والتعايش مع أفرادها ،واستخدام دليل العمل الميداني ، إجراء المقابلات بالإضافة إلى التصوير الفوتوغرافي و تصوير فيديو .

٢ – المنهج التاريخي لعرض تاريخ مالي ودخول الإسلام وتاريخ البمبارا ودخولهم الإسلام .

٣ – المنهج الوصفي التحليلي لوصف وتحليل واستنتاج النتائج من الدراسة الميدانية .